

## المحاضرة الخامسة

### نظرية الحرمان النسبي والحركات الاجتماعية

يُنسب الفضل في تطوير نظرية الحرمان النسبي إلى عالم الاجتماع **Samuel A. Stouffer** وذلك بعد الحرب العالمية الثانية ، ولقد كانت بداية صياغته لها في دراسته التي حملت عنوان "الجندي الأمريكي" (1949) وهي جزء من سلسلة من أربعة مجلدات بعنوان "دراسات في علم النفس الاجتماعي في الحرب العالمية الثانية". وفقا لهذه الدراسة تنجم الكثير من المشاكل في الجيش نتائج المقارنة التي يقوم بها الجنود بين ما يحصلون عليه وبين ما يتوقعون أنه يجب أن يحصلوا عليه، أي من الحرمان النسبي الذي يعانونه في نهاية الأمر.

و إذا كان الفضل يرجع لستوفر في بلورة و صياغة هذه النظرية ضمن علم الاجتماع، فإن فضل جعلها أساسا قويا لتحليل موضوع الحركات الاجتماعية يعود إلى **Ted Gurr** الذي سيبلور سنة 1970 إطار نظريا سيكون واحداً من أبرز أطر فهم وتفسير السلوك الجمعي المتمرد والاحتجاجي. لقد جاء اهتمام تد جار بموضوع الحرمان النسبي في سياق سؤال الذي سيشكل عنوان كتابه الشهير لماذا يتمرد الناس ؟ وجوابه كان كئالي : الناس يثورون بسبب الحرمان النسبي .

يُعرّف جار الحرمان النسبي «بأنه تصور الفاعلين للتناقض بين توقعات القيمة لديهم وقدرات القيمة عندهم . توقعات القيمة هي السلع وظروف الحياة التي يعتقد الناس أنهم يستحقونها أما قدرات القيمة فهي السلع [الخيرات] والظروف التي يعتقدون أنهم قادرون على الحصول عليها والاحتفاظ بها [حقيقة]».

ينطوي الحرمان النسبي بهذا الشكل على «فجوة سلبية بين ما يتوقعه الأفراد كحقوق واردة و ما يحصلون عليه فعليا». أي هناك فارق سلبى بين توقعات القيمة ( أجور ، امتيازات مادية و اجتماعية ، حقوق سياسية) وبين ما يمكن تحقيقه فعليا عبر ما نعتقد أننا نمتلكه موضوعيا.

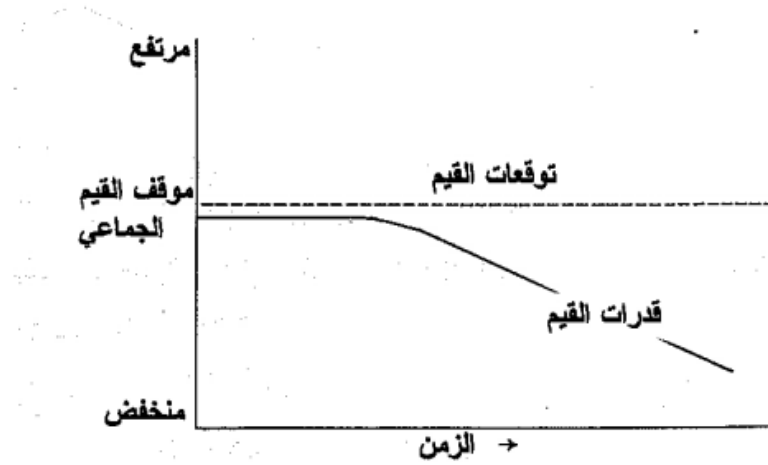
وبهذا تظهر الحركات الاجتماعية الباحثة عن التغيير حسب هذه النظرية ضمن الأشخاص الذي يشعرون بالحرمان. إن الأشخاص الذي يشعرون بفقدانهم للمداخل، وظروف العمل الآمنة، الحقوق السياسية الأساسية أو الكرامة يمكن أن ينظموا حركة اجتماعية من أجل خلق وضع أكثر عدالة بالنسبة لهم.

وتسند نظرية الحرمان النسبي عند تد جار على ما يطلق عليه آلية الإحباط-العدوان، فكلما كان إحباط اشباع حاجات ذات قيمة معينة متوقعة بالنسبة للإنسان عاليا كلما زاد السلوك العنيف إن... الغضب المنبثق من الإحباط هو قوة محرّكة تؤهل الناس للقيام بالعنف، بصرف النظر عن وسائطه، فإذا تطاول أمد حالات الإحباط إلى درجة كافية أو إذا كانت شديدة التأثير، فعندئذ يكون حدوث العدوان محتملا، إن لم يكن مؤكدا.

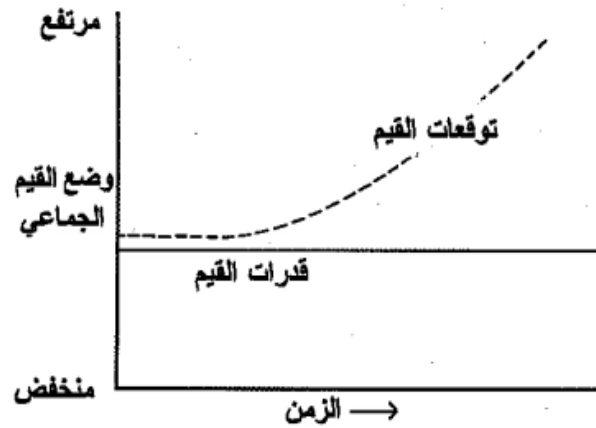
يقسم تاد جار الحرمان النسبي إلى ثلاث أنماط وذلك حسب اختلال التوازن الذي يجمع بين القيم التي يحصل الناس عليها فعليا و القيم التي يعتقدون أنه من حقهم الحصول عليها :

1. الحرمان المتناقص: وهو الحرمان ... الذي تظل فيه توقعات قيم مجموع ثابتة نسبيا ولكن ينظر إلى القدرات القيم أنها في تناقص. ومثاله مجموعة العمال الذين لا يبحثون على زيادة في أجورهم أو يتوقعونها ولكن الحاصل فعليا أن

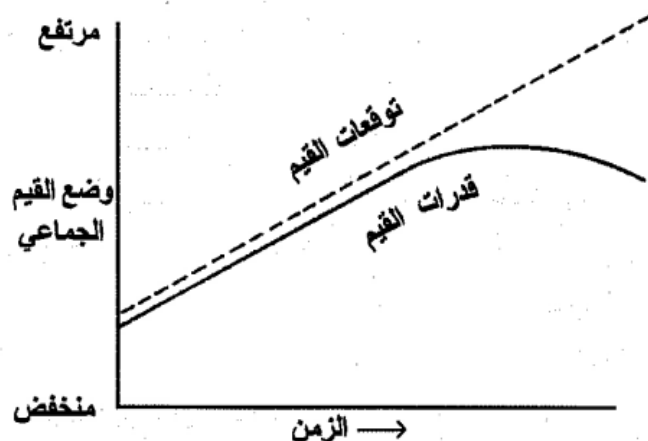
أجورهم التي يحصلون عليها (القدرات الفعلية) في انكماش أو في تذبذب. كذلك سكان منطقة حضرية الذين لا يتوقعون زيادة في أيام تزويدهم بالماء الشروب و لكن الواقع فعليا أن هذه الأيام تتناقص.



2. الحرمان الطموحي: وهو الحرمان النسبي ...الذي تظل فيه القدرات ثابتة نسبيا في حين أن التوقعات تزداد أو تتعمق. و يمكن أن نستعمل توضيح هذ النوع من الحرمان نفس مجموعة العمل مع تعديل في توجهات توقعات القيمة وقدرات القيمة . ينشأ الحرمان لطموحي لدى هذه الجماعة من زيادة في توقعات ارتفاع الأجر في حين أن الأجر الذي يحصلون عليه فعليا (قدرات القيمة) ثابت.



3. الحرمان المتدرج: وهو الحرمان ... الذي ينطوي على زيادة كبيرة في التوقعات وعلى نقصان في القدرات. وفي وسعنا الاعتماد في توضيحه على مثال سكان المنطقة الحضرية مع تعديل في اتجاه توقعات القيمة وقدرات القيمة. في حال الحرمان المتدرج نجد أن توقعات سكان هذه المنطقة الحضرية ترتفع وتزداد من جهة زيادة أيام تزويدهم بالماء الشروب (توقعات القيمة) ربما بسبب وعود انتخابية ، في حين أن الحاصل فعليا أن أيام تزويدهم في تناقص وتكاد تنعدم (قدرات القيمة).



يبقى الآن أن نعرف لما سمي هذا الحرمان النسبي، بالنسبة لجار هو نسبي لأنه مستند في كل الأحوال على تقييم ذاتي قد لا يكون صحيحاً إذ يمكن لمجموعة أن تعد متميزة اجتماعياً من الناحية الموضوعية (أحوالها المادية ميسورة) أن تشعر بقدر من الاحباطات يزيد عن مجموعات أخرى أكثر حرماناً، وبتالي أن تكون في وضع موات أكثر لتعبئة.

ميزة نظرية الحرمان النسبي عند جار أنها بـسيكو-اجتماعية كونها لا تركز فقط على البعد النفسي في نشوء ظاهرة الحرمان النسبي، بل تعطي للبعد الاجتماعي أهمية كذلك. إن الحرمان النسبي لا يتوقف على مجرد تصور نفسي جماعي أو فردي بل يحتاج مساهمة عوامل اجتماعية مختلفة من أهمها:

1. **تغير أنماط الحياة الجديد:** إن تبدل هذه الأخيرة يكشف لبعض الناس عن مستوى أساليب حياة مختلفة بالنسبة لهم وهو ما يخلق شرارة المقارنة بينهم وبين غيرهم.
2. **انتشار الأيديولوجيات الجديدة:** كما تساهم أساليب الحياة الجديدة في خلق الحرمان النسبي كذلك تفعل الأيديولوجيات التي قد تنتشر في مرحلة معينة من تاريخ المجتمعات، وذلك على الأيديولوجيات الدينية أو الثورية أو التي تدعو إلى المساواة بين الجنسين.
3. **مكاسب المجموعات المرجعية:** قد يحدث وأن تحصل مجموعة اجتماعية معينة على مكاسب مادية أو معنوية داخل مجتمع من المجتمعات، الأمر الذي يجعلها نقطة مرجعية بالنسبة لمجموعات أخرى تعتقد بأنها تستحق مكاسب مثل مكاسبها أو أكثر منها.

**اختلال التوازن في القيمة (الحقوق):** إن عدم المساواة في توزيع الحقوق داخل مجتمع من المجتمعات قد تولد هي الأخرى حالة من حالات الحرمان النسبي نظر لشعور الظلم قد يعتقده البعض.

### أبرز الانتقادات لنظرية

لقد كانت مقارنة الحرمان النسبي المقارنة الثالثة التي قمنا بعرضها، لعل أبرز ما كشفته لنا أن الحركات الاجتماعية نتاج لعملية المقارنة التي يجربها الناس بين ما هو بين أيديهم وبين ما يعتقدون أنهم يستحقونه. و علاوة على ذلك بينت هذه المقارنة عن نسبية هذا التقييم بحيث ليس من الضروري أن يتطابق ما يتصوره الناس عن وضعهم مع الشروط

الموضوعية لوجودهم ، فرما يكون وضعهم ميسورا إلا أنهم يقدمون بالرغم من ذلك على فعل جماعي للمطالبة بتحسينه أو تغييره .

و لكن و على أهميتها كانت هذه المقاربة محل عديد الانتقادات التي مست جوانب مختلف منها سنركز على أهمها فيما يلي.

أظهرت عديد الدراسات أنه لا يوجد علاقة سببية مباشرة بين الحرمان النسبي و ميلاد الحركات الاجتماعية أي أن وجود السخط والشعور بالحرمان لا يؤدي بالضرورة إلى ظهور الحركات الاجتماعية ربما تحمل مجموعة ما شعورا بالحرمان و لكن انتقالها للفعل يبقى احتماليا و ليس ضروريا.

ويكشف الانتقاد الأخير عن جانب ضعف آخر في مقاربة الحرمان النسبي ، وهو عدم توضيحها لكيفية الانتقال من حالة هذا الشعور إلى الإقدام على الفعل الجماعي ، مع العلم أن حالة الإحباط الناجمة عن الحرمان هي فردية في الأساس. بصيغة أخرى هي تسقط تحليلات البسيكولوجيا الفردية للحرمان المولد للاحتجاج والعدوان على المجموعة وكأنها شيء واحد.

يتضح هذا الإشكال بشكل أفضل إذا ما قارناها مثلا مع المقاربة التفاعلية الرمزية، هذه الأخيرة حاولت أن تفسر لنا كيف تنتقل مشاعر الغضب أو الحماسة، الاحتجاج من فرد إلى آخر عبر عملية رد الفعل الدائري بما يميزه من تفاعلات عفوية ومباشرة وبسيطة، وهو الأمر الغائب في مقاربة الحرمان النسبي، التي نجدها تقفز بنا مباشرة من الفرد إلى الجماعة دون الكشف عن الآليات انتقال حالة الحرمان من فرد إلى آخر.